

العنوسة

[ظاهرة لا يمكن إنكارها.. وقضية تستحق الاهتمام]

المقدمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَجَلٍ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَيْنَهُمَا رَحْمَةٌ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾

شرع الإسلام الزواج لمقاصد سامية ولتحقيق غايات عظيمة جليلة، منها أنه وسيلة من وسائل العفاف والإحصان والعفة لقول النبي ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".

ومن أهداف الزواج أيضًا أنه سبب لبقاء النوع البشري والإنساني، كما أنه وسيلة إيجابية لتحقيق الأمومة والأبوة وصناعة الأجيال المتلاحقة لإقامة المجتمع المسلم، هذه الأهداف وهذه الغايات السامية إذا تعطل هذا الزواج ولم يتم فإنه يحدث فيها خلل كبير.

ولقد نشأت في بعض المجتمعات ظاهرة العزوبة لدى الشباب، والعنوسة لدى النساء، وترجع هذه الظاهرة إلى عوامل عدة أهمها: الغلاء الفاحش في المهور وإعداد بيت الزوجية مما يرهق الشباب ويجعلهم يعزفون عن الزواج، وكذلك أسباب اجتماعية ترجع إلى التفاخر والتعجب والكفاءة على أسباب دنيوية، وأسباب نفسية خلفتها صورة خيالية عن فتاة المستقبل أو غنى الأحلام ليست موجودة على أرض الواقع.

ولقد كانت أمور الزواج من أسهل ما يكون، ولكن الناس وفي عصرنا خاصة، عَسَرُوا ما يَسِّرَ الله، وضيّقوا ما وَسَّعَ الله، شَدَّدُوا على أنفسهم ولم يشدد الله عليهم، حتى رأينا العزوبة عند الشبان، والعنوسة عند الفتيات، نرى شاباً بلغ الثلاثين أو أكثر من عمره ولم يتزوج، ونرى فتاة بلغت الثلاثين أو أكثر ولم تتزوج، ولعلها لا تتزوج بعد ذلك، حينما يقول الناس: فاتها القطار.

والزواج آية من آيات الله تعالى ونعمة من نعمه، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّهُمَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وإنصافاً للفتاة العربية فإن ظاهرة العنوسة ليست ظاهرة مقصورة على المجتمعات العربية وحدها، وإنما هي بطبيعة الحال ظاهرة عالمية، غير أن الغرب الذي يعاني أيضاً من ظاهرة العنوسة لا يشعر بحدثها مثل المجتمعات العربية نظراً لأن الزنا عندهم ليس محرماً، بل تظل المرأة تعاشر الرجل معاشرة الأزواج سنوات طويلة وقد تنجب سفاحاً، وفي النهاية قد يقران الزواج أو الانفصال.. هكذا بكل بساطة.

فالعنوسة هذا الشبح يوحدين العرب.. ويسرق النوم من عيون الأباء والأمهات.. مجتمعات الرفاهية المادية في الخليج لم تسلم من ضرباته.. والندول الأقل دخلاً تدفع فاتورة مضاعفة لأزماته التي لا تنتهى.. الأرقام مفرقة.. ووصفات الحل تتوالى بلا فاعلية.. وخطط المواجهة جيسة الأفكار النظرية.

ومن المؤسف أن يصل بعض الشباب إلى سن الثلاثين أو أكثر، وهو لم يفكر بعد في موضوع الزواج، وما انفتحت أبواب الفساد إلانّا وضعت العراقيل أمام الراغبين في الزواج، بل لم ينتشر الانحلال والدعارة والعلاقات المشبوهة والسفر إلى بيئات موبوءة ومستنقعات نحموسة إلا بتعتيد أمور الزواج.

لقد أصبحت العنوسة ظاهرة اجتماعية مؤرقة أفرزتها الحياة المعاصرة وهي ظاهرة لا يمكن إنكارها وإن لم يتعود عليها مجتمعا بحكم العادات والتقاليد من قبل، ولكنها تجلت الآن وبصورة واضحة، بل هي تكبر وتوسع وتعرض نفسها علينا كأمر واقع، فتدق أبواب البيوت بقوة بفضل مسيرتها وخطواتها السرطانية السريعة، ونحن ننظر ونستسلم لها دون مقاومة، فارتفاع نسبة العوانس بضعتنا أمام مسؤولية كبرى لتجنب زيادة هذه الظاهرة.

ومن هذا المنطلق أقدم هذا الإصدار من [سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع: لنقف وقفة مع إحدى أبرز قضايانا الاجتماعية المتعلقة بقضايا الزواج؛ ننتخص فيها ظاهرة من أخطر الظواهر الأسرية التي لها آثارها وأخطارها على الفرد والمجتمع والأمة.

وسوف نستعرض خلال هذا الإصدار انتشار ظاهرة العنوسة في مجتمعا، تعريف العنوسة، آثار العنوسة وأضرارها، أسباب العنوسة، ظاهرة العنوسة في ضوء القرآن والسنة، وآراء علماء النفس والاجتماع والخبراء، عرض لبعض الحالات الواقعية لفتيات فاتهن قطار الزواج، تقديم الكثير من الحلول والآراء لمواجهة هذه المشكلة وعلاجها والوقاية

منها... إلى جانب بعض من الموضوعات المتعلقة بمشكلة العنوسة.. وذلك من أجل تنمية وعى الوالدين والأبناء والجميع بالجوانب المختلفة المتعلقة بمشكلة العنوسة حيث إنها ظاهرة لا يمكن إنكارها وقضية تستحق الاهتمام.. وأدعو الله أن أكون قد وفقت في بعض هذا الموضوع المهم، وأن يتففع به الجميع المنفعة القصوى.. وأن يفيد هذا الإصدار في علاج ظاهرة العنوسة والوقاية منها.